مرتفعا لئلا يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة Bها أن رسول ا A قال ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة ولولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وأدخلت فيها الحجر ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما أشار إليه رسول ا A وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل لها بابان ملتصقان بالأرض شرقيا وغربيا يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر فلما قتل الحجاج بن الزبير كتب إلى عبدالملك بن مروان وهو الخليفة يومئذ فيما صنعه ابن الزبير واعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامي فحصوه وأخرجوا منه الحجر ورصوا حجارته في أرض الكعبة فارتفع باباها وسدوا الغربي واستمر الشرقي على ما كان عليه فلما كان في زمن المهدي أو ابنه المنصور استشار مالكا في إعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير فقال مالك كذلك الآن إلى فهي عليه هي ما على فتركها ملعبة الملوك يتخذها أن أكره إني C .

وأما المسجد الحرام فأول من أخر البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب Bه اشتراها من أهلها وهدمها فلما كان عثمان اشترى دورا وزادها فيه فلما ولي ابن الزبير أحكم بنيانه وحسن جدرانه وأكثر أبوابه ولم يوسعه شيئا آخر فلما استبد بالأمر عبدالملك بن مروان زاد في ارتفاع جدرانه وأمر بالكعبة فكسيت الديباج وكان الذي تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف وقد ذكرنا قصة بناء البيت والأحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل وذكرنا ذلك مطولا مستقصى فمن شاء كتبه هاهنا و الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبدالمطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها ... عجبت لما تصوبت العقاب ... إلى الثعبان وهي لها اضطراب ... وقد كانت تكون لها كشيش ... وأحيانا يكون لها وثاب ... إذا قمنا إلى التأسيس شدت ... تهيبنا البناء وقد نهاب ... فلما أن خشينا الزجر جاءت ... عقاب تتلئب لها انصباب ... فضمتها إليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس لها حجاب ... فقمنا حاشدين إلى بناء ... لنا منه القواعد والتراب ... غداة يرفع التأسيس منه ... وليس على مساوينا ثياب ... أعز به المليك بني لؤي ... فليس لأصله منهم ذهاب ... وقد حشدت هناك بنو عدي ... ومرة قد تقدمها كلاب